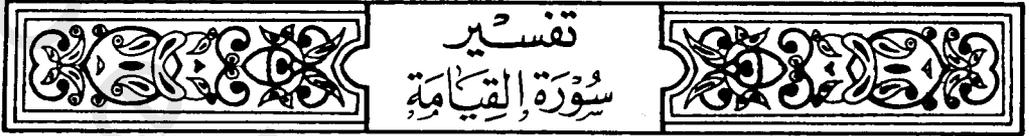


وتكذيبهم بوقوعها. ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ أي حقاً إن القرآن تذكرة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴿كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرَىٰ وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأتاب. روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرَىٰ وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ وقال: «قال ربكم: أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له» ورواه الترمذي وابن ماجه.



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (٢).

إذا كان المقسم عليه متنياً جاز الإتيان بـ ﴿لَا﴾ قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (٢) أقسم بهما جميعاً معاً، فأما يوم القيامة فمعروف، وأما النفس اللوامة فعن الحسن البصري إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحدِيث نفسي؟ وأن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه. وعن الحسن: ليس أحد من أهل السماوات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة.

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ (٣) بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُوِيَ بَنَانَهُ﴾ (٤) بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (٥) يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦) فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرُ﴾ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنِّي لَمَفْرُوءٌ﴾ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (١٢) يُبْنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ﴾ (١٥).

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ (٣) أي يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه، وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُوِيَ بَنَانَهُ﴾ (٤) أي أن نجعله خفياً أو حافراً، أو أن نجعل أصابعه مستوية ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (٥) يعني يمضي قدماً، أو يعني الأمل، يقول: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي يوم القيامة، أو ليمضي أمامه ركباً رأسه. ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦) أي يقول: متى يوم القيامة، وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده

﴿إِذَا بَرَأَ الْقَمَرُ ﴿٧﴾﴾ أي حار، كقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: 43] أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ أي ذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ كوراً ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّي لَمَفْرُوقٌ ﴿١٠﴾﴾ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر، ويقول: أين المفر، أي هل من ملجأ أو موئل؟ قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ أي لا نجاة، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: 47] أي ليس لكم مكان تتكرون فيه، وكذا قال ههنا: ﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ أي المرجع والمصير. ﴿تَبَيَّنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ حَدَاثًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: 49] ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٥﴾﴾ ﴿لَوْ أَقْبَلُ مَا ذُكِّرُوا ﴿١٦﴾﴾ أي هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: 14].

﴿لَا تَحْرَجْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَانْفَعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾

هد تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجسعه في صدره، وأن يسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له، ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره، وإيضاح معناه، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَحْرَجْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ أي بالقرآن كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴿١٧﴾﴾ [طه: 114] ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴿١٧﴾﴾ أي في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ أي أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ ﴿١٩﴾﴾ أي تلاه عليك الملك عن الله تعالى: ﴿فَانْفَعْ قُرْآنَهُ ﴿٢٠﴾﴾ فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢١﴾﴾ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ولنهكم معناه على ما أردنا. ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ من الناصرة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي تراه عياناً، كما رواه البخاري في صحيحه «إنكم سترون ربكم عياناً» وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحيحة من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها.

﴿وَرُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَطَّلُنُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَرُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَطَّلُنُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، أي كالحة، عابسة ﴿تَطَّلُنُ﴾ أي تستيقن ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية، وشر.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعٌ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نَفْثَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْتَنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار، وما عنده من الأهوال، ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت، فقال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ﴾ أي انتزعت الروح من الجسد، وبلغت العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي من طيبب شافٍ، أو من يرقى يروحه: ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ ﴿وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فلتقتي الشدة بالشدّة إلا من رحمه الله، أو الأمر العظيم بالأمر العظيم، ﴿إِنِّي رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ أي المرجع والمآب ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾﴾ ولكن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً بقلبه متولياً عن العمل بقلبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعٌ ﴿٣٣﴾﴾ [القيامة: 33] أي جذلان أشراً بطراً كسلاناً، لا همة له ولا عمل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ وهذا تهديد ووعد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبخر في مشيه، أي يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ يعني لا يبعث، أو لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منه في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكروه من أهل الزيغ والجهل والعداء، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نَفْثَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْتَنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين؟ ﴿يُمْتَنَىٰ﴾ يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ أي فصار علقه، ثم مضغة، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقاً آخر سوياً، سليم الأعضاء، ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره، ولهذا قال: ﴿فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه، وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة للبداة، وإما مساوية على القولين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] والأول أشهر. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال: سبحانك فبكي.